دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	السياسة الخارجية القطرية : حدود البراغماتية
المصدر:	المجلة العربية للعلوم السياسية
الناشر:	الجمعية العربية للعلوم السياسية
المؤلف الرئيسي:	الخطيب، لينا
المجلد/العدد:	ع 39,40
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2013
الشهر:	صيف - خريف
الصفحات:	153 - 170
رقم MD:	488988
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EcoLink
مواضيع:	قطر ، العلاقات الخارجية، السياسة الدولية، البراغماتية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/488988

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

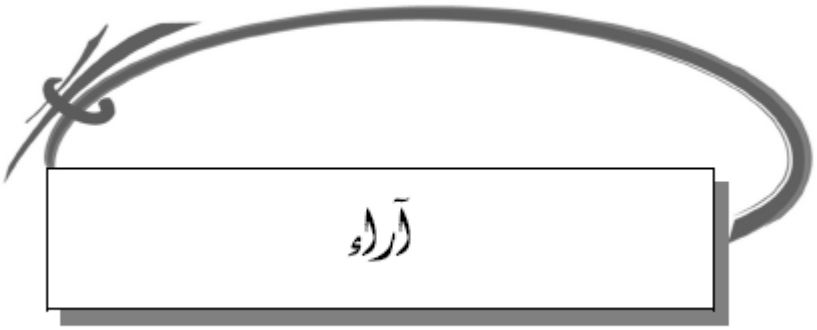
آراء

السياسة الخارجية القطرية:
حدود البراغماتية[*]

لينا الخطيب[*]

مديرة برنامج الإصلاح والديمقراطية في العالم العربي "جامعة ستانفورد"

إنها واحدة من أصغر الأقطار العربية، مساحتها تقل عن ٢٠٠٠ كم مربع، وسكانها يقل عددهم عن ربع مليون نسمة[١]. لكنها أغنى دولة في العالم على صعيد الناتج المحلي الإجمالي للفرد، والمصدر الأول للغاز المسال في العالم[٢]، وهذا ما أعلى شأنها في أقل من عقدين لتصبح إحدى الجهات الفاعلة الرئيسية في العلاقات الدولية في الشرق الأوسط. فهي ضالعة في عدد كبير جدا من الصراعات في المنطقة – كوسيط وكمانح للمساعدات الإنسانية أساسا– إلي حد أنه بات يتوقع أن تجد قطر دورا لها في أي صراع ينشب في المنطقة.

تبلور هذا الظهور البارز لقطر على مدى سنوات من دبلوماسية عامة ذكية ساندت سياسة خارجية شاملة، جعلت قطر محل ترحاب بصفتها " العربية السعودية الجديدة". لكن لا الدبلوماسية العامة القطرية، ولا السياسة الخارجية القطرية، تخلو من تحديات. فإذا كانت قطر تلقى الثناء غالبا على وساطاتها في الصراعات الدائرة في الشرق الأوسط وغيره، لا يظهر أن سياستها الخارجية مستندة إلى استراتيجيا سياسية متماسكة. ويعنى الافتقار إلى التماسك انه بالرغم من النجاحات الدبلوماسية العامة المتصورة، مثل صعود نجم محطة "الجزيرة" الفضائية، أو فوز قطر باستضافة مباريات كأس العالم في سنة ٢٠٢٢، فقد باتت الدبلوماسية العامة القطرية، ولاسيما في الربيع العربي، تعانى علة شائعة هي التباين بين الصورة والأفعال. كما أن افتقار سياستها الخارجية إلى استراتيجيا

(*) نشرت هذه الدراسة بالإنكليزية، تحت عنوان Lina Khatib, <<Qatar's Foreign Policy:The Limits of Pragmatism>> International Affairs, vol. 89, no> 2 (March 2013), pp. 417-431.

(*) تشكر المؤلفة ابى بيوركلي على مساعدته البحثية في هذه المقالة، وعزت دروزة، وأليكس دي وال، والمراجع في المجلة على تعليقاتهم القيمة.

(١) انظر: " Qatar, New York>>
Times,<http://topics.nytimes.com/top/news/international/coountriesandterritories/qatar/index.html

(٢) تمتلك قطر ثالث أكبر احتياطي غاز في العالم. انظر :<<The Strange power of Qatar,>> Hugh Eakin, New York Review of Books (27 October 2011), http://www.nybooks.com/articles/archives/2011/oct/27/strangepower-qatar/?pagination=false.

متماسكة يجعل قطر عرضة لمصادر عدم الاستقرار الدولية والمحلية، في تعارض مباشر مع أحد الدوافع الرئيسية لسياسة قطر الخارجية، وتحديدا المحافظة على أمنها واستقراها. والغاية من هذه المقالة استعراض دراسة نقدية لسياسة قطر الخارجية الحالية من خلال قراءة لقراراتها وأفعالها ومضامينها.

أولا: دوافع السياسة الخارجية

انتهجت قطر منذ الانقلاب الأبيض الذي أوصل أمير قطر حمد بن خليفة آل ثاني إلى السلطة في سنة ١٩٩٥ [٣] سياسة خارجية متوسعة باطراد، أعلت شأن قطر كثيرا على المستويين الإقليمي والدولي. السمة الرئيسية لسياسة قطر الخارجية هي دورها كوسيط ومفاوض في عدد من الصراعات الدائرة في الشرق الأوسط وغيره، مثل أفغانستان وإثيوبيا والعراق وإسرائيل والأراضي المحتلة ولبنان والسودان واليمن[٤]. ففي كل من هذه الحالات، تباهت قطر بالتواصل مع الفصائل المتنازعة وحملها على التواصل إلى تسويات سياسية أو التقارب في ما بينها، فضلا عن تقديم المساعدات الإنسانية. إن القرارات التي توجه مشاركة قطر في هذه الصراعات مركزية للغاية، إذ إن صناع القرار الرئيسين هم الأمير، وولي العهد الشيخ تميم بن حمد آل ثاني[*]، ورئيس الوزراء ووزير الخارجية الشيخ حمد بن جاسم آل ثاني. وحصر أغلب عملية صنع القرار بهذه الدائرة الضيقة يعنى انه يمكن اتخاذ القرارات المتصلة بالسياسة الخارجية (والمحلية) بسرعة، ما يسمح لقطر بالرد السريع على الصراعات الناشئة وعرض الوساطة.

وفي حين يمكن المجادلة بان رسم صورة للبلاد بكونها وسيطا سخيا هو خطوة دبلوماسية عامة من جانب قطر –بما أن الحياد يساعد على بناء المصداقية في أوساط الجهات المعنية المتعددة– فإن هناك دوافع أكثر عمقا لمقاربة قطر الشاملة في التوسط في الصراعات، وتوسعا في سياستها الخارجية، ومن هذه الدوافع:

١– المحافظة على أمنها واستقرارها، إذ تقع قطر في شبه الجزيرة العربية، وهي منطقة ملأى بالمنافسات السياسية والعسكرية. وبرفع قطر مكانتها الدولية، فهي تهدف إلى وقاية نفسها من المخاطر التي تكتنف الدول غير المعروفة وقابليتها للسقوط[٥]، مثل المخاطر التي تعرضت لها الكويت في سنة ١٩٩٠[٦]. زد على ذلك انه بالضلوع في

(٣) قام الأمير الحالي بعملية انقلابية في أثناء قضاء والده عطلة في سويسرا. وقد تصالحا منذ ذلك الحين.

(4) Blake Hounshell,<<The Qatar Bubble,>> Foreign policy (May-June 2012), http://www.foreignpolicy.com/articles/2012/04/23/the_qatar_bubble? page=0>

(*) أصبح منذ ٢٤ حزيران/ يونيو ٢٠١٣ الأمير لقطر بعد تنازل والده الشيخ حمد له (المحرر).

(5) Andrew F. Cooper and Bessma Momani, <<Qatar and Expanded Contours of small state diplomacy,>> international spectator: Italian journal of international affairs, vol. 46, no. 3 (2011), pp 113-128

(6) David B Roberts,<< understanding Qatar's foreign policy objectives,>> Mediterranean politics, vol. 17, no.2 (July 2012), pp. 233-239.

وساطة بين فصائل متنازعة، مثل النزاع بين الحوثيين والحكومة اليمنية، أو الخلاف بين حزب الله وحلفائه من جهة وتحالف ١٤ آذار من جهة أخرى، يلاحظ أن قطر تسعى إلى احتواء هذه الصراعات والحيلولة دون امتدادها إلى أراضيها. وهذه الحاجة تصبح أشد إلحاحا عندما يعاين المرء الدور الذي تؤديه إيران في هذه الصراعات، وفي الخليج خصوصا.

٢- تعتبر إيران هي الداعم الرئيسي لحزب الله، وقد أقامت روابط مع الحوثيين في اليمن، ومع عدد من الحركات الشيعية في الخليج. كما أن قطر تتقاسم أكبر حقل نفط في العالم مع إيران، وهي على دراية تامة بأهداف السياسة الخارجية الإيرانية التوسعية في المنطقة. وبمحاولة التوسط بين الجهات المنافسة لها، تسعى قطر إلى صد النفوذ الإيراني في الشرق الأوسط بعامة، وفي الخليج بخاصة، مع المحافظة على علاقات ودية مع إيران. لذلك، بالإضافة إلى الهواجس الأمنية العامة، يمكن اعتبار الدور الذي تؤديه إيران في المنطقة بأنه الدافع الجلي الثاني لجهود الوساطة القطرية في الصراعات الدائرة في الشرق الأوسط.

٣- الرغبة في توسيع نفوذ قطر كجهة فاعلة إقليمية، ولا سيما إزاء العربية السعودية. وقد اضطلعت السعودية على نحو تقليدي بدور ريادي في الصراعات الدائرة في المنطقة، مثل الحرب الأهلية اللبنانية. لكن جهود الوساطة السعودية تعرقلت في السنوات الأخيرة لبعدها المتصور عن الحياد، ما جعل السعودية جهة نشطة عوضا من أن تكون وسيطا محايدا. ونضرب على ذلك مثالا علاقة العربية السعودية الوثيقة بتحالف ١٤ آذار الذي يرأسه اللبناني- السعودي سعد الحريري. لذلك، لمحت قطر فراغا في العلاقات الدولية- العربية، وهي تسعى إلى ملئه. ومشاركتها في الصراعات داخل الشرق الأوسط وخارجه هي بمثابة جهد لتقديم نفسها بديلا دائما عن العربية السعودية، وقائدا محتملا جديدا في الشرق الأوسط. ومما عزز هذا الدور، عضوية قطر في مجلس الأمن للأمم المتحدة بين سنتي ٢٠٠٦ و٢٠٠٧، وهي مرحلة شهدت تكثيف قطر جهود وساطاتها الإقليمية ومساعداتها الأخرى.

لكن قطر حريصة على عدم تجاوز حدود علاقاتها بالعربية السعودية. فعلى الرغم من تصور قطر تقلص النفوذ السعودي في الشرق الأوسط (المقترن بتعاظم النفوذ الإيراني الذي يضفي طابعا ملحا على الحاجة المتصورة إلى قيادة عربية)، تبقى قطر حريصة على عدم التصادم مع السياسات الخارجية والمحلية السعودية. لذلك، عندما اندلعت الانتفاضة البحرينية في سنة ٢٠١١، ساندت قطر بعثة مجلس التعاون الخليجي- بقيادة العربية السعودية- لقمع الانتفاضة[٧]. وعندما اكتسبت الثورة اليمنية زخما في السنة ذاتها، ساندت قطر أيضا مبادرة مجلس التعاون الخليجي التي خففت حدة المسار الانتقالي في اليمن، ما قاد إلى مرحلة انتقالية عبر التفاوض عوضا عن الإطاحة بنظام علي عبد الله صالح برمته. ومع علاقة قطر بالعربية السعودية، شهدت تقلبات في السنين الماضية، فقد عاد

(٧) لم تشارك القوى المسلحة القطرية في بعثة درع الجزيرة الموفدة إلى البحرين.

الدفء إلى العلاقات بين الدولتين في النهاية سنة ٢٠٠٨، وهى تزداد متانة باطراد بسبب السياسة الواقعية القطرية، وتفطن قطر إلى حدود نفوذها في الخليج[٨]. وتظل العربية السعودية القوة السياسية المهيمنة في شبه الجزيرة العربية، حيث لم تسنح لقطر الفرصة، أو لم تمتلك القدرة بعد على الاضطلاع بدور القائد الأول. على أن الدولتين تتقاسمان هاجسا مشتركا متصلا بإمكانية وصول عدم الاستقرار –والانتقال السياسي– إليهما، ما يجعلهما أكثر ميلا إلى التعاون منهما إلى المواجهة.

٤– التودد إلى المجتمع الدولي وممارسة نفوذ فيه. فقد كافحت قطر لتوطيد نفسها ك "اسم مميز" معترف به يعرف بأنه حليف دولي للغرب[٩]. وعلى سبيل المثال، تؤوى قطر مقر القيادة المركزية الأمريكية، وقد استضافت إلى حين الهجوم الإسرائيلي على غزة في سنة ٢٠٠٨/٢٠٠٩ البعثة التجارية الإسرائيلية الوحيدة في الخليج[١٠].

كما حققت قطر بتقديم نفسها حليفا دوليا أساسيا ثلاث منافع، هي:

١– توفير الأمن للإمارة في منطقة متفجرة، إذ إن المدرج في قاعدة العديد الجوية الأمريكية التي تستضيفها قطر هو "أطول مدرج في الشرق الأوسط" بينما تشكل قاعدة السيلية "أكبر قاعدة تمركز مسبق عسكرية أمريكية خارج الولايات المتحدة"[١١].

---

(8)Sultan Sooud Al-Qassemi, <<How Saudi Arabia and Qatar Became friends Again,>> Foreign Policy(21 July 2011), http://www.foreginpolicy.com/articles/2011/07/21/how_saudi_arabia_and_qatar_became_frie>.nds_again?page=0

(9)Robert, << Understanding Qatar's Foreign policy Objectives >>

(١٠)أقامت قطر علاقات تجارية مع إسرائيل في سنة ١٩٩٦ بعيد تولي الأمير (السابق) السلطة، وشرعت في سياسة خارجية توسعية. لكن ذلك أثار انتقادات واسعة من جانب بلدان عربية أخرى، وهي الانتقادات التي تسعى قطر إلى تخفيفه عبر المساعدات والدبلوماسية العامة. وعلى الرغم من الانتكاسات التي تعرضت لها العلاقات الإسرائيلية القطرية بسبب تطورات مثل الانتفاضة الفلسطينية الثانية في سنة ٢٠٠٠، لم يغلق المكتب التجاري الإسرائيلي في الدوحة، إلا بعد الهجوم الإسرائيلي على غزة حين طرد كافة المسؤولين الإسرائيليين. لكن أمير قطر لا يزال يسعى منذ ذلك الحين إلى ترميم العلاقات مع إسرائيل. ويبقى الأمير الزعيم الخليجي الوحيد الذي التقى بمسؤولين إسرائيليين. انظر: Uzi Rabi,<<Qatar's relations with Israel: challenging Arab and gulf norms,>> Middle east journal, vol. 63, no. 3 (Summer 2009), pp. 443-459, and Sam Dagher, Charles levinson and Margaret coker,<<Tiny Kingdom's Huge role in Libya draws concern,>> wall Street journal, 17/10/2011, http://online.wsj.com/article/SB10001424052970204002304576627662700922764650.html, accessed 8 Feb. 2013.

(11)<Behind Qatar's intervention in Libya,>> foreign affairs (28 September 2011), < http://www.foreginaffairs.com/articles/68302/david-roberts/behind-qatars-intervention-in-libya? Page= show>. David Roberts

٢- تقريب قطر من هدف ترسيخ نفسها كدولة عصرية تركز على التجارة، وقادرة على المنافسة في الاقتصاد الدولي[١٢]. إن الأهداف الاقتصادية القطرية تؤكدها الحاجة إلى ضمان تصدير الغاز، وتنبه قطر في الوقت نفسه إلى أن قابلية البقاء اقتصاديا على المدى الطويل، تعني تجاوز اقتصادها مرحلة الاعتماد على النفط.

٣- صرف الانتباه عن العيوب السياسية لقطر بعقدها للتحالفات الدولية، فعلى الرغم من حديث الولايات المتحدة القوي اللهجة عن الحاجة إلى الإصلاح في الوطن العربي، فقد تمكنت قطر (وكذلك العربية السعودية) من درء الانتقادات عن نفسها لغياب الديمقراطية فيها، بالنظر إلى مركزها كحليف استراتيجي، وحتى كحليف لا يمكن الاستغناء عنه.

وبالإضافة إلى جهود الوساطة، انتهجت قطر أيضا سياسة الباب المفتوح تجاه الجهات السياسية الفاعلة المتنوعة والمتصادمة غالبا في المنطقة. فقد استضافت مكتبا تجاريا إسرائيليا، ووفرت قاعدة لقيادة حماس في الوقت عينه، وآوت إسلاميين، مثل الشيخ يوسف القرضاوي –القريب من الإخوان المسلمين، وهي حركة تجاهر بانتقادها لإسرائيل- فيما كان الأمير يعقد اجتماعات مباشرة مع قادة إسرائيليين. ويمكن بالتالي القول إن قطر تقيم صداقات، وتتلاقي في عداوات، بالتودد إلى جميع الأطراف في الوقت عينه، مع البقاء ضمن أطر اتفاقيات "حسن الجوار" في الخليج، ولا سيما مع العربية السعودية؛ هذا مثال كلاسيكي على البراغماتية السياسية. ويمكن كذلك اعتبار شبكتها الواسعة والمتنوعة من "الضيوف" و"الشركاء" مثالا على التكيف السياسي: تسعى قطر إلى تحديد الاتجاهات (والجهات الفاعلة) الناشئة، وتهيئ لنفسها مكانا ضمن هذه الاتجاهات للمحافظة على الرصيد السياسي.

ثانيا: ليبيا: نقطة تحول ؟

سرعان ما تبدلت صورة قطر كوسيط محايد بمشاركتها في الثورة الليبية التي اندلعت في سنة ٢٠١١. إذ أصبحت قطر الدولة العربية الرائدة في العمل الدولي ضد نظام القذافي. كما أمدت قطر الثوار الليبيين بالأسلحة والمعدات من خلال دعمها المالي والعسكري واللوجستي، ودربتهم على قتال المشاة، وأعانتهم على مواصلة تصدير المنتجات النفطية المكررة الليبية. وعملت قطر كمتحدث باسم جامعة الدول العربية والأقطار العربية التي ضغطت من خلال الدبلوماسية العامة عبر محطة "الجزيرة" الفضائية، وليس من خلال القنوات الدبلوماسية الرسمية فقط، من أجل تدخل دولي في ليبيا. وعقب سقوط القذافي، واصلت قطر تعاطيها مع الشأن الليبي، اقتصاديا وسياسيا وعسكريا. وبالإضافة إلي تسهيل تصدير النفط الليبي، اشترى مصرف قطر الوطني حصة بلغت ٤٩ بالمئة من

(12)Robert, << Understanding Qatar's Foreign policy Objectives >>.

رأس مال مصرف التجارة والتنمية في بنغازي في نيسان/ أبريل ٢٠١٢[١٣]. كما شاركت قطر في لقاءات المصالحة الوطنية في ليبيا، فضلا عما ذكر عن مواصلة مساندة الثوار الليبيين حتى بعد مقتل القذافي. ويرى محللون أن مشاركة قطر في الشأن الليبي منذ ٢٠١١ تتجاوز تكتيكات السياسة الخارجية "المألوفة" التي تركز على الوساطة. وبالتالي، ما الذي يفسر هذه المشاركة، وكيف تتماشى مع السياسية الخارجية القطرية الأشمل؟ يتبين لدى إلقاء نظرة فاحصة أن التحول ليس دراماتيكيا بقدر ما يبدو للوهلة الأولى، وأن هناك قضيتين أسياسيتين دفعتا قطر إلى التحول من التوسط إلى التدخل:

١- القضية الأولي هي أن التدخل القطري الفاعل في ليبيا مدفوع من بعض النواحي بهدف استمالة المجتمع الدولي وممارسة نفوذ فيه. ففي آذار/ مارس ٢٠١١، كانت قطر أول دولة عربية تعترف بالثوار الليبيين وبالمجلس الوطني الانتقالي، وفي نيسان/ أبريل ٢٠١١، وتحت مظلة مطالبة جامعة الدول العربية بإقامة منطقة حظر جوي، أرسلت ست طائرات ميراج للمشاركة في الحملة التي قادها حلف الناتو (مع أنها لم تشارك في الغارات الجوية)، وساعدت الثوار الليبيين على تأسيس محطة (ليبيا الأحرار) التلفزيونية الفضائية التي تبث من الدوحة[١٤]، فيما استضافت مجموعة الاتصال الخاصة بليبيا لتنسق أنشطة الثوار، وقد ذكر أنها أنفقت نحو ملياري دولار على مساندة الثوار[١٥]. وقد أكسبت هذه الأعمال الجريئة قطر ثناء دوليا من الحلفاء الرئيسيين –الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا– ورسخت سمعتها بأنها حليف من "الوزن الثقيل" للغرب[١٦].

٢- القضية الثانية هي أن التدخل جاء في سياق عملية تكيف كانت قد شرعت فيها قطر للمحافظة على موقعها الإقليمي القيادي. وقد توطد دور قطر كوسيط "محايد" في وقت هيمنت على الشرق الأوسط فيه استبدادية معمرة. وما إن تغيرت القواعد مع مجيء الربيع العربي حتى عدلت قطر طرقها بسرعة للبقاء في صدارة اللعبة السياسية. ويمكن إرجاع جذور هذا التكيف إلى الردود القطرية على الثورتين في مصر وسورية. ففي كلتا الحالتين، ترددت قطر في البداية في تبني موقف معارض للنظامين الحاكمين هناك بعد أن أقامت

Camilla Hall, <<Qatar Hall, <<Qatari Bank Expands Reach in Middle East,>> Financial Times, 5/9/2012, http://www.ft.com/cms/s/0/6a0714f4-f741-11e1-8c9d-00144feabdc0.html#axzz2akfcod7v.

(١٤) Clifford Krauss,<<For Qatar, Libyan Intervention May Be a Turning Point, >> New York Times, 3/4/2011, <http://www.nytimes.com/2011/04/04/world/middleeast/04qatar.html?_r= 1&>>.

(١٥) سعيد الشحات، "قطر والربيع العربي،" اليوم السابع (٦ آب/ أغسطس ٢٠١٢)، <http://www1youm7.com/news.asp?newsid= 750106>.

(١٦) David B Roberts, <<Punching Above its Weight,>> Foreign Policy (12 April 2011), http://www.foreginpolicy.com/articles/2011/04/12/punching_above_its_weight?page=0,0.

علاقات ودية مع نظام مبارك في أواخر سنة ٢٠١٠، وأسست روابط مع نظام الأسد[١٧]. وهناك سبب إضافي لذلك التردد الأولى، يكمن في حساسية الموقف السعودي من النظامين المصري والسوري، والمعبر عنه في دعوة السعودية في بادئ الأمر إلى المحافظة على "استقرار" هاتين الدولتين عوضا عن الثورة عليهما[١٨]. لكن ما إن أدركت قطر أن الثورتين في هاتين الدولتين ستطيحان بقادتهما الحاليين حتى تبدل موقفها لعلني (وتبدلت معه تغطية محطة "الجزيرة" للأحداث الدائرة فيهما)، ما سمح لقطر بالمحافظة على تقدمها بتلك الخطوة الواحدة الحاسمة، وللكن الحذرة، على العربية السعودية.

يوفر تكييف قطر طرق سياساتها الخارجية وسيلة لكي تحافظ قطر على موقعها كمتفرد سياسي في المنطقة. كما أن ضلوعها في الصراع السوري عقب اندلاع الثورة في سنة ٢٠١١ هو مثال واضح على كفاح قطر للمحافظة على مكانتها السياسية. ولم تكتف قطر بالمشاركة بقوة في تسليح الثوار السوريين، مثل الجيش السوري الحر، بل توسطت بنجاح في تأسيس منظمة جامعة للقوى الثورية والمعارضة السورية في الدوحة في تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٢ بعد مضي ثمانية عشر شهرا على مطالبة المجتمع الدولي المعارضة السورية بالاتحاد جاء تشكيل هذا الائتلاف استجابة لكافة دوافع السياسة الخارجية القطرية: التمتع بالزعامة الإقليمية، والمكانة الدولية، ولجم النفوذ الإيراني (بالنظر إلى دعم إيران لنظام الأسد)، وإبعاد شبح عدم الاستقرار (أو محاولة القيام بذلك على الأقل). كما أن جمع الائتلاف للفصائل الإسلامية والعلمانية ينسجم تماما مع سياسة الباب المفتوح التي تعتمدها قطر حيال الجهات السياسية المتعددة. على أن للبعد الإسلامي في السياسة الخارجية القطرية دوافعه ومضامينه الخاصة.

ثالثا: قطر والتيار الإسلامي

تتبع قطر المذهب الوهابي الإسلامي، وكذلك العربية السعودية، لكن قطر أكثر اعتدالا من السعودية في تفسير الوهابية والتزامها بها. ويوجد في قطر قدر من الليبرالية ليس له مثيل في العربية السعودية، كما في مجال حقوق المرأة، علي سبيل المثال. لكن الدولتين تتقاسمان هاجسا مشتركا حيال التيار الإسلامي الراديكالي، بحيث أقامت الدولتان برامج لإعادة تأهيل المتطرفين الإسلاميين. كما ساندتا جماعات إسلامية متنوعة، أبرزها حركة الإخوان المسلمين بفروعها المختلفة. وفي هذه المسألة، تختلف قطر عن العربية السعودية، إذ تنظر السعودية على نحو

(١٧) توجه الأمير إلى القاهرة في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٠ في زيارة استمرت يومين وحظيت بتغطية واسعة لتعزيز الروابط الاقتصادية والسياسية بين مصر وقطر عقب الفتور الذي طرأ العلاقات بينهما مدة من الوقت. وقبل أقل من سنة من اندلاع الثورة السورية، التقي الرئيس السوري بشار الأسد بأمير قطر مرتين في شهرين متتاليين لمناقشة التعاون الدفاعي والاقتصادي: انظر: Qatar Emir Hamad , Syria's Assad Meet To Discuss Arab Ties, Daily star (Lebanon), 21/5/2010 <http://www.dailysatar.com,lb/news/middlee-east/may/21/qatariemir-hamed-syrias-assad-meet-to-discuss-arab-ties.ashx#axzz2il06lmgx>.

Al-qassemi, << how Saudi Arabia and Qatar Became Friends Again.(18)

تقليدي إلى الإخوان المسلمين، وهي جماعة إسلامية لها طموحات سياسية، على أنها متحد سياسي محتمل، ولذلك تلتزم الحذر في تعاطيها معها[١٩]. وفي حالة مصر، وقف العربية السعودية بحزم إلى جانب نظام مبارك الذي اتخذ جملة من الإجراءات لإفشال الخطط السياسية للإخوان المسلمين[٢٠]. ومع ذلك، سيكون الافتراض بأنة بين العربية السعودية والإخوان خصومة مطلقة افتراضا مضللا، لأن السعودية هي إحدى الجهات الرئيسية التي تمول الحركة منذ عقود، وصعود نجم الإخوان في مصر بعد الثورة قربهم، على الضد من التكهنات السابقة، من العربية السعودية التي يظهر أنها إلى الآن علاقة طيبة بالرئيس الجديد محمد مرسي[٢١].

ومن ناحية أخرى، قطر هي إحدى الجهات الرئيسية الداعمة لحركة الإخوان منذ عقود، وعلاقة الحركة بقطر أيسر من علاقتها بالعربية السعودية. وتستخدم قطر محطة "الجزيرة" للتعبير عن دعمها العلني للإخوان المسلمين، وهي تستضيف قادة الحركة وتمدها بالدعم المالي[٢٢]. وعلى سبيل المثال، منحت قطر العالم المصري الشيخ يوسف القرضاوي منبرا عاما مهما من خلال برنامجه التلفزيوني الديني الشهير الذي يطل به عبر محطة "الجزيرة"، وكان أحد المجاهرين بمساندتهم للثورات التي أيدتها قطر في تونس ومصر وليبيا وسورية[٢٣]. وبدءا بتسعينيات القرن الماضي، استضافت قطر أيضا عددا من الإسلاميين الليبيين المنتمين إلى الجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة أساسا[٢٤]. منهم علي الصلابي الذي سجن في ليبيا بتهم متصلة بمحاولات لاغتيال القذافي. وقد انتقل الصلابي إلى قطر في سنة ١٩٩٩، ثم تصالح مع القذافي بوساطة قطرية، وعاد إلى ليبيا للبدء ببرنامج لاستئصال التطرف الإسلامي. وآل الأمر بعلي الصلابي وشقيقه الأصغر إسماعيل إلى تأدية ادوار بارزة بعد ثورة ١٧ شباط/ فبراير،

(١٩) Angus McDowall,<<Rise of Muslim Brotherhood Frays Saudi-Egypt Ties,> Reuters (1 May 2012), <http://www.reuters.com/articles/2012/05/01/us-saudi-egypt-brotherhood-idusbre8400zm20120501>.

(٢٠) Dan Murphy, <<Egypt Cracks Down On Muslim Brotherhood Ahead of Elections,>> Christian Science Monitor, 24/11/2010, <http://www.csmonitor.com/world/middle-east/2010/1124/egypt-cracks-down-on-muslim-brotherhood-ahead-of-elections>.

(٢١) Robert Dreyfuss, <<Saudi Arabia and Brotherhood: What the << New York Times>>, The Nation (13 July 2012), <http://www.thenationr.com/blog/168871/saudi-arabia-and-brotherhood-what-new-york-timesmissed#>.

(٢٢) Sultan Sooud Al Qassemi, <<Morsi's Win Al jazeera's Loss ,>> All-Monitor, (1 July 2012), http://www.Al-monitor.com/pulse/originals/2012/al-monitor-morsys-win-is-al-jazeeras-loss.html and Sultan Al Qassemi, <<Breaking the Arab News ,>> Foreign Policy, (2 August 2012), http://www.foreginpolicy.com/articles/2012/08/02/break-the-arab-news?page=0,1> .

(٢٣) Guido Steinberg, <<Qatar and the arab spring: support for Islamists and new anti-syrian policy>, SWP comments, no 7 (february 2012), <http:www>swp-berlin.org/fileadmin/contents/products/comments/2012c07_sbg.pdf>

(٢٤) سعت هذه الجماعة إلى إسقاط القذافي قبل أن يهزمها، وقد أطلقت على نفسها اسما جديدا منذ سنة ٢٠١١ هو الحركة الإسلامية الليبية للتغيير.

فأصبح الأول قائدا سياسيا، فيما أصبح الثاني قائدا ثوريا[٢٥]. كما ساندت قطر مسؤولاً سابقا في الجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة هو عبد الحكيم بلحاج الذي أصبح قائد المجلس العسكري في طرابلس في أثناء ثورة ١٧ شباط/ فبراير. وفي آب/ أغسطس ٢٠١١، رتبت قطر لقاء جمع بين بلحاج ومسؤولين في حلف الناتو – وهو اجتماع أثار جدلا لأن الولايات المتحدة كانت قد اعتبرت الجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة منظمة إرهابية في سنة ٢٠٠٤، مع أن بلحاج تخلى عن أنشطته السابقة[٢٦]. وتوضح حالتا الصلابي وبلحاج العلاقات النفعية والشخصية المتبادلة البعيدة المدى بين قطر وإسلاميين معينين، وهي تهدف إلى كسب ولائهم لقطر[٢٧]. وعلى غرار مشاركة قطر في أنشطة على مستوى الدول، يمكن اعتبار علاقاتها بالإسلاميين أداة تدعم هدفي سياستها الخارجية المتمثلين بإبعاد شبح عدم الاستقرار عن قطر والمحافظة على الزعامة الإقليمية.

لكن الحالة الليبية معقدة لأن قطر لم تكتف بمساندة الإسلاميين بمد الثوار بالأسلحة لمقاتلة القذافي، بل ذكر أن قطر واصلت إرسال الأسلحة إلى ليبيا حتى بعد سقوطه، ما أثار قلق الحكومة الليبية المؤقتة من تأثير ذلك في استقرار البلاد[٢٨]. ففي تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١١، قال محمد عبد الرحمن شلقم، المندوب الليبي في الأمم المتحدة، لوكالة رويترز: "إن هناك حقائق على الأرض، وهي أنها (قطر) تقدم المال لبعض الأطراف، الأطراف الإسلامية. إنها تقدم لها المال والسلاح وتحاول التدخل في أمور لا تعنيها، ونحن نرفض ذلك[٢٩]". وفي كانون الثاني/ يناير ٢٠١٢، زعمت مجلة تايم أنه يظهر أيضا أن قطر تتدخل في الشؤون الداخلية للحكومة الليبية، وتحديدا تلك المتصلة بالأمن القومي[٣٠].

أذيع التفسير القطري الرسمي لعلاقة قطر بإسلاميين راديكاليين أو راديكاليين سابقين في مقابلة أجراها أمير قطر مع محطة "الجزيرة" في ٧ أيلول/ سبتمبر، حيث قال "إنه يعتقد أن الإسلاميين الراديكاليين الذين صاغوا آراءهم في ظل حكومات مستبدة، يمكنهم تقبل سياسة قائمة على المشاركة إذا تحقق الوعد بديمقراطية حقيقية، وتحققت

(٢٥)Dagher, Levinson and Coker, <<Tiny Kingdom's Huge Role in Libya Draws Concern>>.

(٢٦)Robert, <<Behind Qatar's Intervention in Libya>>.

(٢٧) للاطلاع على الطابع الشخصي للعلاقات بالإسلاميين المقربين من الإخوان المسلمين، انظر: Ahmed =.

A/cm, «Qatar's Tics with the Muslim Brotherhood Att'cct Entire Region,» The National {18 May 2012), < http://www.thcnatiorul.ac'thcnationalconvcrsationlcommcntilqatars-tics-with-thc-muslim- hrothcrhood-attcet-cnti re region >.

(٢٨)Steven Sotloff, <<Why the Libyans have Fallen Out of Love with Qatar,>> Time (2 January 2012),<http//www.time.com/time/world/article/0,8599,2103409,00.html#ixzz2bsnzruor>

(٢٩)Souhail karam, << Libya U.N Envoy Says Qatar Arming Islamist,>> Reuters (18 November 2011),<http//www.reuters.com/article/2011/11/18/us-libya-qatar-industre7ah15r20111118>.

(٣٠) كتب سوتلوف" مارس بعض المسؤولين القطريين بلا شك نفوذا في السياسة الليبية. ففي أثناء المداولات الرامية إلى تشكيل وزارة جديدة في أيلول/ سبتمبر، شوهد مؤول قطري رفيع وهو يتشاور مع وزير الدفاع السابق، وزعم انه حاول توجيه عملية التعيينات في المناصب الأمنية الحساسة".

عدالة الثورات العربية التي اندلعت في هذا العام". إذا حصل ذلك، قال حاكم قطر: " اعتقد أنكم سترون هذا التطرف، وقد تحول إلى حياة مدنية، وإلى مجتمع مدني"[٣١]. وإذ ينسجم هذا التصريح مع أطر تعاطي قطر مع الإسلاميين في العقد الماضي، فهو يوفر رؤية جزئية وحسب للدوافع القطرية.

ويمكن عزو مساندة قطر للإسلاميين، ولاسيما في ليبيا، إلى جملة من العوامل، منها:

١- العامل الأول هو أن الدعم يأخذ شكل تواصل ومشاركة تسمح بتلافي العداوات من خلال الاستيعاب. وكما بينا سابقا، أقامت قطر علاقات طويلة المدى مع جماعات إسلامية متنوعة، ومع أفراد إسلاميين، يشغل بعضهم مراكز محورية في هذه العلاقات (مثل الإخوان المسلمين)، فيما يشغل البعض الآخر مراكز هامشية. ويمكن تفسير هذه الروابط المزعومة بين قطر والإسلاميين الراديكاليين في سياقات مثل مالي[٣٢]. ومع انه ليس هناك دليل حتى الساعة على دعم الدولة القطرية للإسلاميين في مالي[٣٣]، إلا أنه يظهر أن أفرادا قطريين ربما كانوا ضالعين في تمويل هذه الجماعات في مسعى لممارسة النفوذ ومنع عدم الاستقرار من الوصول إلى الديار.

٢- العامل الثاني هو أنه ربما يكون لمساندة الثوار الليبيين منفعة استراتيجية في الصراع الدائر في سورية، لما ذكر عن تقديم الثوار الليبيين أى مساعدة ميدانية لنظرائهم في المعارضة السورية[٣٤]. وفي تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٢، كشف النقاب عن أن ليبيا هي مصدر التمويل الرئيسي للمعارضة السورية بتقديمها نصف موازنة المجلس الوطني السوري، فيما تمثل قطر ثاني أكبر مصدر تمويل للمعارضة[٣٥]. ومع اضطلاع الإخوان المسلمين بدور بارز داخل المجلس، ليس هناك مفاجأة في قوة الدعم القطري له. لكن استضافة قطر قمة توحيد المعارضة السورية في الدوحة في تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٢ لم تلق ترحيبا من المجلس الذي رأى فيها إجراء يقلص

---

(٣١) Dagher, Levinson and Coker, <<Tiny Kingdom's Huge Role in Libya Draws Concern

(٣٢) <<Nord – Mail: Le Qatar accuse de financer les groups islamistes de l'azawad,>> jeune Afrique (6 June 2012), http://www.jeuneafrique.com/article/artjaweb20120606170458/algerie-mali-islamistes-terrorismenord-malile-qatar-accuse-de-financer-les-groups-islamistes-de-l-azawad.html and <<France Launches Unprecedented Campaign Against Qatar role in mali,> Middle East online (4 February 2013), http://www.middle-east-online.com/english/?id=56782.

(٣٣) أنكر وزير الخارجية القطري حمد بن جاسم علنا هذا الدعم في كانون الثاني/ يناير. انظر:PM>>

Denies, Meddling in Mali,>> The Peninsula (30 January 2013), <http://thepeninsulaqatar.com/qatar/223824-pmdenies-meddling-in-mali-.html>.

(٣٤) Christopher M. Blanchard,<<Qatar: Background and US relations,>> Congressional Research Service Paper (6 June 2012), <http://www.fas.org.sgp/crs/mideast/r131718.pdf>

(٣٥) <<Libya helps Bankroll Syrian Opposition Movement,>> Washington Post, 5/11/2011, <http://www.washingtonpost.com/world/middle_east/libya-helps-bankroll-syrian-opposition-movement/2012/11/05/98cd728a-2764-11e2-b2a0-ae18d6159439_story.html>

نفوذه[٣٦] وفي هذا السياق، مثلت قمة توحيد المعارضة بقيادة قطر مثالا على حرصها على ألا ينظر إليها أنها شديدة التحيز في صداقاتها (بما في ذلك صداقاتها مع الإسلاميين)، وسمحت لها كذلك بعرض موقفها بصفتها الوسيط وصاحب النفوذ السياسي الأول في المنطقة.

أخيرا، طالما كافحت قطر للتكيف مع الاتجاهات السياسية، كما بينا سابقا، والربيع العربي شهد زيادة نفوذ الإسلاميين في شتى أرجاء المنطقة، ويترجم الدعم العسكري والمالي القطري لهذه الجماعات إلى نفوذ سياسي، فيما تستغل قطر علاقاتها الدافئة مع الجماعات الإسلامية المتنوعة؛ لذلك يمكن اعتبار مساندتها للإسلاميين كذلك تفاعلا مع تغيير في الوضع السياسي الراهن في الشرق الأوسط. ويسلط هذا العامل خصوصا الضوء على عيب أساسي في السياسة الخارجية القطرية، وهو أنها تبقى تكرارية إلى حد بعيد، عوضا من استنادها إلى نظرة سياسية بعيدة المدى.

رابعا: إعادة النظر في الدبلوماسية العامة القطرية

هناك اعتراف واسع بان قطر تبذل جهدا دبلوماسيا عاما مبتكرا يساند سياستها الخارجية، يستهدف الجماهير العربية والمراقبين الدوليين. يقوم هذا الجهد على ركائز أساسية، هي مشاركة قطر في مساع ثقافية وتعليمية بارزة، والمساعدات الإنسانية، ومحطة "الجزيرة" الفضائية. وعلى العموم، حققت هذه الركائز الثلاث نجاحا في استمالة الناس، لكن يواجه كل منها (وبخاصة الركيزتين الأخيرتين) تحديات معينة.

ولا تزال قطر توسع مدى مساعداتها الخارجية ومستواها منذ تسعينيات القرن الماضي، لتصل إلى الشعوب المعوزة في مناطق الصراعات في أماكن متنوعة، مثل لبنان وغزة ومالي. ففي كل من هذه الأماكن، أسست قطر جمعيات خيرية تشارك في برامج إعادة الإعمار، وأعلنت عن خطط استثمارية. وعقب الهجوم الذي شنته إسرائيل على لبنان في سنة ٢٠٠٦، رفعت لافتات كتب عليها "شكرا قطر" فضلا عن الأعلام القطرية في عدد من القرى الجنوبية، حيث تعهدت إعادة بناء المساجد والبنية التحتية التي دمرتها الحرب. كما شكلت زيارة أمير قطر لغزة في سنة ٢٠١٢ أول زيارة يقوم بها رئيس دولة عربية للقطاع الذي تحكمه حماس، وترافقت الزيارة مع خطط استثمارية، فضلا عن آمال متجددة بإبرام مصالحة بين حماس والسلطة الفلسطينية. وتشكل هاتان الحالتان خطوة ذكية من جانب قطر للتودد إلى المواطنين على امتداد الخطوط التقسيمية الطائفية والسياسية. وبذلك استطاعت قطر أن تقدم نفسها كصديق للمواطن العربي المقهور، ولا سيما في ما يتصل بالصراع الدائر مع إسرائيل. لكن سرعان ما اتضح قصور التدخلات الإنسانية والمساعدات الخارجية القطرية في لبنان الذي يعيش حالة مزمنة من

(٣٦) Regan Doherty and Rania El gamal, << Syrian Opposition Group Demands Central Role at Unity Talks,>> Reuters (6 November 2012), <http://www.com/article/2012/11/06/us-syria-crisis-qatar-talks-idusbre8a50nf20121106> .

عدم الاستقرار، وعقب تجدد الهجمات الإسرائيلية على قطاع غزة في أواخر سنة ٢٠١٢ بعيد أسابيع من زيارة الأمير للقطاع. وفي ضوء هذه التطورات، يتبين أن لتأثير قطر في تلك المناطق وقعا مؤقتا، وليس طويل المدى.

وفي مالي، نشطت جمعية الهلال الأحمر القطري مؤخرا في تقديم الدعم إلى اللاجئين، وفي تنسيق التدخلات الإنسانية التي كان الإسلاميون في شمال البلاد سيرفضونها لولا مشاركة الجمعية، لأنهم يرفضون التعامل مع اللجنة الدولية للصليب الأحمر(٣٧). وعلى حد قول رئيس جمعية الصليب الأحمر المالي عبد الرحمن سيسي في آب/ أغسطس ٢٠١٢: "من الصعوبة بمكان الوصول إلى السكان في الشمال، لكن مع تدخل الهلال الأحمر القطري استطعنا فعل المزيد(٣٨)". لا ينبع قبول الجماعات الإسلامية بقطر من كونها دولة إسلامية وحسب، بل يمكن تعقب تاريخ تأسيس قطر ودول خليجية أخري لجمعيات إسلامية في شمال مالي والساحل إلى ثمانينيات القرن الماضي، ما أكسبها مصداقية على الأرض(٣٩). بيد أن المساعدات الإنسانية التي قدمتها قطر إلى مالي أطلقت شائعات، ولا سيما في الجزائر، المستاءة على ما ذكر من مساندة قطر لأغلب ثورات الربيع العربي(٤٠) مفادها أن قطر تستخدم البعثات الإنسانية كستار لإرسال الأسلحة إلى الجماعات المسلحة في شمال مالي، ما حمل جمعية الهلال الأحمر القطري على إصدار بيان أنكرت فيه هذا الادعاء في حزيران/ يونيو ٢٠١٢(٤١). ويشير هذا البيان إلى درجة انزعاج قطر من الظهور في مظهر القريب جدا من الإسلاميين.فإذا كان تأثير قطر في الإسلاميين مرغوبا، فإن رؤيتها "في السرير" معهم تحبط أهدافها الرامية إلى امتلاك نفوذ سياسي أوسع.

لقد كان تأسيس محطة "الجزيرة" التلفزيونية في سنة ١٩٩٦ عاملا حاسما في مسار تعاظم النفوذ الخارجي القطري. وتظهر البحوث الموثقة أن "الجزيرة" تتصدر الشبكات الإخبارية التي تبث على مدار الساعة في الوطن العربي، وقد حازت شعبية بعيد انطلاقتها لأنها اعتبرت البديل العربي الوحيد للقنوات العالمية، مثل "سي. إن. إن"

(٣٧) "مكتب ميداني للهلال القطري بشمال مالي" العرب (الدوحة)، ٢٠١٢/٢/٢
<http://www.alarab.qa./details.php?issuedId= 1664&artid= 196503 > .

(٣٨)Regan Doherty , <<Qatar Red Crescent to send Relief Aid to Mali's Rebel-held North,>> Reuters (2 August 2012), <http://www.reuters.com/article/2012/08/02/us-mali-qatar-idusbre87112t20120802> .

(٣٩)<<RE: Canard Enchaine, Qatar in North mali and Algeria,> The Moor Next Door (10 June 2012), <http://themoornextdoor.wordpress.com/2012/06/10/re-canard-enchaine-qatar-in-northern-mali-and-algeria/>

(٤٠)Kristian Coates Ulrichsen, << Small States with a Big Role: Qatar and the arab emirates in the wake of the Arab spring,>> HH Sheikh Nasser al-Sabah Publication Series, Durham University, no. 3 (October 2012), <http://www.dur.ac.uk/resources/alsabah/smallstateswithabrigrole.pdf> .

(٤١)AFP, <<Qatar Aid Workers Deny Backing Mali Rebels,>> The Peninsula (20 June 2012), <http://www. thepeninsulaqatar.com/qatar/199443-qatar-aid-workers-deny-backing-mali-rebels-.html>.

الأمريكية. وقد استغلت نجاحها هذا لاحقا في تغطيتها المكثفة للانتفاضة الفلسطينية الثانية التي اندلعت في سنة ٢٠٠٠، وفي كونها أولى المحطات التي أذاعت الرسائل الفيديوية التي صورها أسامة بن لادن عقب هجمات ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١. لكن مزايا "الجزيرة" الثورية هي "استقلالها" المعلن في ساحة إعلامية مشبعة بوسائل الإعلام الرسمية، وانتقادها اللاذع للقادة العرب في عدد من البلدان. ففي وطن عربي معتاد على هيمنة القنوات التلفزيونية الرسمية التي لا تعدو كونها منافذ دعائية للقادة، شكلت "الجزيرة" دينامية تفاعل مع السياسيين في المنطقة تشتمل على توجيه انتقادات حقيقية إلى أفعالهم ومواقفهم. ومع أن قرار "الجزيرة" هذا أدى إلى إغلاق مكاتبها في عدد من الأقطار العربية، فقد أكسبها تأييد الجماهير العربية في نهاية المطاف، وبذلك أصبحت مثالاً علي الدبلوماسية العامه الناجحة بتواصلها المباشر مع المواطنين الأفراد وحديثها بلغتهم(٤٢). وفي سنة ٢٠٠٦، أسست "الجزيرة" قناة تبث باللغة الإنكليزية للتواصل مع جمهور عالمي، لتصبح أول قناة عربية تتنافس بشكل مباشر مع قنوات البث الغربية، مثل "سي. إن. إن" و"بي. بي. سي".

كما شكلت "الجزيرة" المنبر العام الذي قدمت قطر نفسها من خلاله كمتحد للعربية السعودية. وعقب إطلاق قناة "العربية" التي تمتلكها السعودية في سنة ٢٠٠٣، غدا تنافسها مع "الجزيرة" وانتقادات كل منهما لداعمي القناة الأخرى، سمة رئيسية لتحليل المشهد الإعلامي العربي(٤٣). ومع أن هذه المنافسة توقفت في نهاية المطاف عقب انفراج العلاقات بين الدولتين بعيدا من الإعلام (مع ما عناه ذلك من تشكيك في درجة "حياد" "الجزيرة" فعلا)، تكمن فائدة "الجزيرة" الرئيسية في رسم صورة لقطر تجعلها على قدم المساواة تقريبا مع العربية السعودية على صعيد النفوذ والأهمية، وهي صورة تستغلها السياسة الخارجية القطرية.

إن قصة "الجزيرة" ليست مجرد قصة التغيير الوحيد الذي طرأ على المشهد الإعلامي العربي، بل هي قصة طموح دولة خليجية صغيرة تستخدم هذا المنبر العالمي لتضخيم حجمها وإعلاء شانها. وقد شكل هذا النجاح المبكر ل "الجزيرة" نموذجا للدبلوماسية العامة القطرية، وغدا مبدأها التوجيهي في السعي إلى الاستحواذ على الانتباه العالمي. وبعد تأسيس "الجزيرة" شرعت قطر في خطط تزداد طموحا لجذب أنظار العالم إليها، بدءا بإغراء بعض الجامعات الرائدة والمؤسسات البحثية في الولايات المتحدة والمملكة المتحدة بإقامة فروع لها في قطر، ومرورا بطلب استضافة كأس العالم لسنة ٢٠٢٢ والفوز بها، وانتهاء بالإشراف علي جمعيات خيرية وبرامج تعليمية في شتي ربوع الوطن العربي. وينظر على نطاق واسع إلى الشيخة موزة، زوجة الأمير، بأنها صاحبة الرؤى التي تدفع هذه المبادرات. وتتمتع الشيخة موزة، على نحو غير مألوف بالنسبة إلى زوجة حاكم خليجي، بحضور بارز،

(٤٢)Lina Khatib, <<public Diplomacy in the middle east: Dynamics of success and failure,>> in: Ali Fisher and Scott Lucas, eds., Trials of engagement: The future of US public Diplomacy (Leiden: Martinus Nijhoff, 2011).

(٤٣)Mamoun Fandy, (un) Civil War of Words: Media and Politics in the arab world (Westport, CT: Praeger Security International, 2007).

وتحظى باعتراف دولي لمبادراتها، مثل مؤسسة قطر –التي تمول المبادرات التعليمة داخل قطر وخارجها – وأناقتها. وهي تظهر غالبا إلى جانب الأمير في المناسبات العامة، كما في زيارتهما التاريخية لغزة في سنة ٢٠١٢ مثلا. ومع أنه لا يعرف على وجه الدقة مدى الاستقلالية التي تتمتع بها موزة في سياق المساعي المرتبطة بها، لكن صورتها المنمقة، وأجندتها الدولية الحافلة، حولتها إلى ركيزة أساسية للدبلوماسية العامة القطرية.

على أن قصة "الجزيرة" لا تخلو من نكسات. ففوزها بسبق إعلامي بإذاعتها أشرطة الفيديو التي صورها أسامة بن لادن عقب هجمات ١١ أيلول/ سبتمبر، وموقفها الحازم المعارض لغزو العراق في سنة ٢٠٠٣ جلب انتقادات حادة –وهجوما محتملا، كما تكهن البعض – من جانب الولايات المتحدة. لكن "الجزيرة" أثبتت تمتعها بمرونة عالية في مواجهة النقد، لا من خلال المساومة مع الدبلوماسيين الأمريكيين وحسب، وهو ما كشفته البرقيات التي سربها ويكيليكس(٤٤). بل من خلال انتهاجها مسارا مستقلا عن المبادرات القطرية الأخرى. وعلى سبيل المثال، فيما كانت "الجزيرة" تنتقد علانية الغزو الأمريكي للعراق، استضافت قطر القيادة المركزية الأمريكية، وبالتالي استطاعت قطر تهدئة الرأى العام العربي من خلال "الجزيرة"، فيما انخرطت في ذلك النوع من السياسة الخارجية البراغماتية وحافظت على علاقاتها الطيبة بحلفائها الغربيين. وأثبتت قطر أنها لاعب سياسي ذكي قادر على كسب الأصدقاء على المستويين الدبلوماسي والشعبوي بالتواصل مع جماهير مختلفة مستخدمة أدوات مفصلة وفق ما يقتضيه كل جمهور.

لكن الربيع العربي شكل تحديا قاسيا لمصداقية "الجزيرة" فعقب تعاظم شعبيتها في البداية بسبب تغطيتها المكثفة للثورة المصرية، واجهت القناة أحجية الثورة البحرينية التي تزامنت مع الثورة الليبية. ففي حين منحت "الجزيرة" الثورة الليبية مساندة كاملة بصفتها ثورة مشروعة، بدا موقفها الفاتر من القضية البحرينية مناقضا لصورتها كمناصر مفترض للحريات العربية، وأظهرت أيضا حدود "الاستقلالية" التي تروج لها "الجزيرة" عن إمارة قطر(٤٥). وقد تفاقم هذا الوضع مع استقالة وضاح خنفر، الدير العام لقناة "الجزيرة" في أيلول/ سبتمبر ٢٠١١، وإبداله بقطري من الأسرة الحاكمة، هو الشيخ أحمد بن جاسم بن محمد آل ثاني(٤٦).

(٤٤)Anthony Shadid, <<Qatar wields an outsize influence in Arab politics,>> New York Times, 14/11/2011, <http://www.nytimes.com/2011/11/15/world/middleeast/qatar-presses-decisive-shift-in-arab-politics.html?pagewanted=all&_r=0>.

(٤٥)Linda Khatib, image politics in the middle east: the role of the visual in political struggle(London: I.B Tauris, 2013).

(٤٦)Amira Huweidi, <<Does the Resignation of Al Jazeera Director-General signal a Change in state policies?,>> Middle East Monitor (26 September 2011), <http://www.middleeastmonitor.com/articles/middle-east/2858-does-theresignation-of-al-jazeera-director- general-signal-a-change-in-state-policies>.

تشير تغطية الربيع العربي واستقالة خنفر إلى تباين بين صورة قطر وأفعالها، وهو ما يشكل تحديا أساسيا لمصداقية إجراءات الدبلوماسية العامة. وفي الوقت عينه، أدى تبني "الجزيرة" الحماسي للثورة السورية المناهضة لنظام الأسد إلى إذاعة تقارير غير دقيقة في بعض المناسبات، وإلى بث صور غير مؤكدة أو مفبركة(٤٧). وأدى ذلك إلى الإضرار بالمعارضة السورية، عوضا من مساندتها في صراعها لنيل الاعتراف الدولي. وفي هذا المعنى، بدأت "الجزيرة" تفقد بريقها كأداة دبلوماسية قطرية عامة. كما تنبع التحديات التي تواجه التحديات الدبلوماسية العامة القطرية من ارتباطها الوثيق بالسياسة الخارجية للبلاد. وفي العادة، كلما ضاقت الفجوة بين الدبلوماسية العامة والسياسة الخارجية، قويت مصداقية رسالة الدبلوماسية العامة، إلا أننا نجد في حالة قطر أن عدم وجود فجوة بين الاثنتين لا ينفي وجود تحديات، وهذا يرجع إلى كون السياسة الخارجية القطرية ذاتها – باعتمادها الشديد على البراغماتيه والتكيف – تفتقر على ما يبدو إلى استراتيجيا متماسكة.

خامسا: حدود البراغماتية

لدى معاينة السياسة الخارجية القطرية، يظهر التوازن الدقيق الذي تسعى قطر إلى المحافظة عليه بين الاستقرار الداخلي والإقليمي (الخليجي)، وكسب نفوذ سياسي أوسع. ومع أن السياسة الخارجية القطرية بعيدة الأثر، لا يبدو أنها تستند إلى استراتيجيا سياسية متماسكة، بل هي انفعالية تحاول اللحاق بالاتجاهات السياسية عوضا من صياغتها. ولا يزال أمام قطر شوط تقطعه لتكون في موقع يمكنها من تشكيل تحد أكيد لنفوذ العربية السعودية في المنطقة، على الرغم من انحسار نفوذ السعودية خلال العقد المنصرم.

الوساطة هي الطريقة المفضلة لدى قطر في السياسة الخارجية، وهذا تكتيك ذكي يجنب قطر الانحياز إلى أحد الأطراف، وبالتالي يحافظ على موقفها "المحايد"، وعلى مكانتها بصفتها "صديق الجميع"، ما قد يترجم إلى نفوذ أوسع. لكن على الرغم من الثناء على الوساطة القطرية في العادة لكونها نجاحا، تظهر نظرة فاحصة أن تأثيراتها قصيرة المدى. وعلى سبيل المثال، لم ينتج من الوساطة القطرية بين الحكومة اليمنية والحوثيين في سنة ٢٠٠٧ هدنة دائمة بين الطرفين. وفي لبنان، ربما أوقفت اتفاقية الدوحة الموقعة في سنة ٢٠٠٨ العنف الدائر في الشوارع، لكنها لم تفعل شيئا لمنع البلاد من الانزلاق مجددا إلى حالة من عدم استقرار، وإلى توترات أشد بين التحالفين السياسيين المتنافسين. كما أن الوساطة بين حركة طالبان ومسؤولين غربيين التي بدأت في سنة ٢٠١٠ لم تفض بعد إلي نتائج، على الرغم من عرض قطر على الحركة فتح مكتب لها في الدوحة(٤٨). ربما ساعدت المحادثات التي دارت بين حماس وفتح بوساطة قطرية في شباط/ فبراير ٢٠١٢ وزيارة الشيخ حمد بن خليفة لغزة في تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠١٢ على تشكيل حكومة وحدة وطنية فلسطينية، لكن لم يتضح بعد إن كانت ستقضي إلى تغيير بعيد

(٤٧)Al-Qassemi, << Breaking the Arab news>>.

(٤٨)Eakin, << The strange power of Qatar>>.

المدى[٤٩]. بالاختصار، اقتصرت أغلب مساعي قطر على التوسط لاتخاذ إجراءات مؤقتة أسهمت في تعزيز صورة البلاد وموقعها بين حلفائها الغربيين والأقطار العربية الأخرى، لكن النجاح لم يحالفها دائما في تغيير الوضع السياسي الراهن. ومن أسباب ذلك مركزية صناعة القرارات المتصلة بالسياسة الخارجية التي تنحصر في أربعة أشخاص على الأكثر[٥٠]. وإذا كانت المركزية تتيح إبداء ردود سريعة، فإن غياب المشاورات على مستوى الوزارات والمقترن ببنية تحتية محدودة للسياسة الخارجية، يبرز فجوة بين اتخاذ القرارات وتنفيذها، وافتقارا إلى قدرة مهنية مناسبة لمتابعة جهود الوساطة. أضف إلى ذلك أن الوساطات القطرية التي سبقت الربيع العربي تمت في مناخ مستقر نسبيا، بحيث بات من الصعوبة بمكان على قطر أن تؤدى هذا الدور الآن في سياق التحول الديمقراطي الذي لا يمكن التنبؤ بنتائجه.

كما أحدث الربيع العربي تغييرا في الديناميات، ما حمل قطر على العدول عن جهود الوساطة إلى القيام بعمل مباشر. لكن قطر تظل حريصة على عدم العمل بشكل منفرد، من دون دعم عربي، وعلى عدم تجاوز الخط المقبول لدى العربية السعودية. إن انحياز قطر إلى بعض الأطراف في الربيع العربي ليس ابتعادا عن المسار الذي اختارته قطر، ولكنه مثال على براغماتيتها السياسية وتكييف طرقها بما يناسب السياق السياسي. ومع ذلك لا يخلو هذا التكيف من مخاطر لها بعدان: أحدهما محلي، والآخر خارجي.

وعلى الجبهة المحلية، يبرز التكيف السياسي البعد غير الرسمي لصناعة القرار السياسي في قطر. فجميع السياسات المحلية، كما السياسات الخارجية، عبارة عن قرارات تمرر من رأس الهرم إلى أسفله، ويتخذها الأمير ورئيس الوزراء أساسا.

إذا كان هذا النوع من السياسات غير الرسمية قد أدى خدمة جيدة لقطر إلى الآن، إلا أنه يرجح أن تواجه مصداقية قطر طعونا، مع بدء الوطن العربي بالمطالبة بمؤسسات سياسية حقيقية، إذا ما أخفت في الشروع في إصلاحات داخلية جادة. فما إن حل الربيع العربي حتى عقد ٦٠ مواطنا قطريا جلسات حوارية منتظمة بين ١٤ آذار/ مارس ٢٠١١ و٦ شباط/فبراير ٢٠١٢ ناقشوا فيها واقترحوا إصلاحات سياسية واقتصادية في قطر. وقد تمخض عن تلك الجلسات كتيب بعنوان قطريون من أجل الإصلاح، وهو يسلط الضوء على هواجس

(٤٩)Robert Tuttle and Nicole Gaouette, <<Emir Turns Qatari Riches into power Behind Middle East,>> Bloomberg Businessweek(5 November 2011), <http://www.businessweek.com/news/2012-11-04/emir-turns-qatari-riches-intopower-behind-middle-east#p2>.

(٥٠) أذا أشركنا الشيخة موزة فضلا عن الأمير وولي العهد ورئيس الوزراء.

رئيسية، مثل غياب التشاور العام في السياستين المحلية والخارجية، وانعدام القدرة على الحصول على معلومات متصلة بالشأن العام، وانتفاء الحدود بين القطاع الخاص والعام، كما يتضمن توصيات سياسية لإمارة قطر لمعالجة أوجه القصور تلك(٥١). وبالتدريج، بدأ هذا الضغط المحلي المتعاظم بالاستحواذ على انتباه دولي أيضا(٥٢).

كما أن الأداء القطري ضعيف في مجالي الحقوق السياسية والحريات المدنية، بحيث صنفت بأنها "غير حرة" في مؤشر الحرية في العالم لسنة ٢٠١١(٥٣)، وحلت في المرتبة ١٣٨ من أصل ١٦٧ في مؤشر الديمقراطية لسنة ٢٠١١(٥٤). وقد بدأت سنة ٢٠١٣ بتركيز دولي متزايد على الحكم بالسجن المؤبد في السنة الفائتة على الشاعر القطري محمد العجمي بتهمتي "التحريض على قلب النظام" و"إهانة الأمير" لنظمه قصيدة انتقد فيها الدول العربية التي "دامها تستورد من الغرب كل أشيائه، ليه ما تستورد القانون والحرية" (استعضت بعبارة "الدول العربية" عن الحكام العرب، لأن القصيدة تشير إلي الدول، كما نقلت نص القصيدة بحرفيته بلهجتها العامية– المترجم). تشير هذه القضية التي استحوذت على اهتمام إقليمي ودولي إلى التناقض بين موقف قطر والصورة البراقة التي تحاول إظهارها للخارج(٥٥).

وعلى الرغم من مناصرة قطر للديمقراطية في الوطن العربي، تظل قطر بلا مجلس تشريعي مستقل، وبلا أحزاب سياسية، كما أنه ليس فيها منظمات مجتمع مدني مستقلة. ومع أن الأمير وعد في تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠١١، في ذروة مشاركة بلاده في الربيع العربي، بإجراء انتخابات لأول مرة في النصف الثاني من سنة ٢٠١٣ (وهو أول

(٥١) يمكن الاطلاع على الكتيب بأكمله على الموقع الإلكتروني للدكتور علي خليفة الكواري. انظر: على خليفة الكواري، قطريون من اجل الإصلاح (٢٠١٢)، <http://dr-alkuwari.net/sites/akak/files/itroduction-monday-book1.pdf>.

(٥٢) انظر مثلا: Tim Franks, <<Sporting Events Shine Spotlight on Qatar's Human Rights,>> BBc News (25 January 2013), <http://www.bbc.con.uk/news/world-middle-east-21202076>.

(٥٣) <<Freedom in the world 2011,>> Freedom House, <http://www.freedomhouse.org/report/freedomworld2011/qatar>.

(٥٤) لا تتخلف البحرين عن قطر بخمس مراتب إذ حلت في المرتبة ١٤٤، انظر: Democracy Index 2011, Economist Intelligence Unit, <http://pages.eiu.com/s/eiu2/images/eiu_democracy_index_dec2011.pdf>.

(٥٥) Franks, <<Sporting Events Shine Spotlight on Qatar's Human Rights>>.

وعد بذلك، وينتظر تنفيذه في سنة ٢٠١٣ من دون تحديد تاريخ) [٥٦]، تظل البلاد حتى ذلك التاريخ تدار بموجب "نظام حكم لا يخضع للمساءلة إلى حد بعيد"[٥٧]. ويري بعض المراقبين في الوعد بإجراء انتخابات – وعدم إتباع الوعد بتحديد تاريخ – من جملة إجراءات الدبلوماسية العامة، ويعزونه إلى مصلحة قطر في الظهور بمظهر صاحبة "التفكير التقدمي"[٥٨]، ويصفونه بأنه محاولة لدرء الانتقادات بسبب دعمها حركات المعارضة في الخارج، لا في الداخل، عوضا من كونه التزاما جادا بالإصلاح. وفي هذه الاثناء، تبعت قطر الاتجاه الذي تسير فيه الأقطار الخليجية الأخرى، ويرمي إلى صرف انتباه مواطنيها بعيدا من الأفكار المتصلة بالتغيير السياسي بإغداق الأموال عليهم. ففي أيلول/ سبتمبر ٢٠١١، عندما كان الربيع العربي في سنته الأولى، أعلنت الحكومة عن زيادات كبيرة في رواتب العاملين في القطاع العام[٥٩]. كما يرجح أن يكون استثمار قطر في التعليم المحلي مسؤؤلا بشكل غير مباشر عن التغيير على المدى الطويل، مع بروز جيل جديد من القطريين المتعلمين والمعولمين الذين يستبعد أن يقنعوا بنظام حكم غير رسمي. كما أن غياب تخطيط طويل الأجل للمستقبل السياسي لقطر سيعمل فقط على زيادة فرص اندلاع ثورة سياسية محلية مستقبلية، وربما سيكون للتناقضات المحلية المقرونة بالتشكيك في النهج التحقيقي الذي تسلكه محطة "الجزيرة" وقع سلبي على مصداقية الدبلوماسية العامة القطرية.

وعلى الجبهة الخارجية، يمكن أن يخدم التواصل مع الجماعات والمصالح المختلفة العديدة في تأكيد موقع قطر كلاعب إقليمي ريادي، وفي المحافظة على ولاء الجماعات التي تدعمها قطر، وتخفيف حدة التطرف، وإبعاد شبح عدم الاستقرار عن البلاد، لكنها تعني بالمثل أن قطر تجازف بالمبالغة في توسيع شبكة وكلائها السياسيين الذين تدعمهم وتستوعبهم، علما بأن رغبتها في التأثير غي عدة لاعبين، وبخاصة القادة البارزون، زاد من حجم تواصل

٥٦)David B Roberts, <<The Arab World's Unlikely Leader: Embracing Qatar's Expanding Role in the Region,>> POMED policy Brief (13 March 2012), <http://pomed.org/wordpress/wp-content/uploads/2012/03/pomedpolicy-brief_roberts.pdf>.

٥٧)Eakin, << The Strange Power of Qatar>>.

٥٨)Robert, Ibid

(٥٩) المصدر نفسه

قطر مع أطراف متمردة محتملة، مثل بعض الثوار الإسلاميين في ليبيا وسورية. كما أن إمكانية ضلوع أفراد قطريين في علاقات مع إسلاميين راديكاليين ربما تصب في غير مصلحة السياسة الرسمية لقطر على المدى الطويل. وإن الميل إلى "انتقاء الفائزين" ولا سيما في أوساط الإسلاميين، بما يقوي الشكوك الدولية في الدوافع القطرية. زد على ذلك أنه تبين اعتماد قطر على روابطهما التجارية في تسليس العلاقات السياسية منح قطر نفوذا سياسيا محدودا وحسب (كما تجلى في الأحداث التي جرت في سورية بعد ثورة سنة ٢٠١١، أو في حالة التوترات مع الجزائر). وربما تضر هذه العوامل جميعا بالطموحات السياسية القطرية بدلا من أن تخدمها. ومع أنه يبدو أن قطر دولة لديها طموحات سياسية واضحة، لا يظهر أنها تمتلك استراتيجيا سياسية متماسكة بعيدة المدى لتحقيق هذه الطموحات. وفي المقابل، يمكن القول إن استراتيجية السياسة الخارجية القطرية تعتمد على الانتهازية، وعلى الجمع العشوائي، وبالتالي فهي محفوفة بخطر التعرض لتقلبات شديدة.